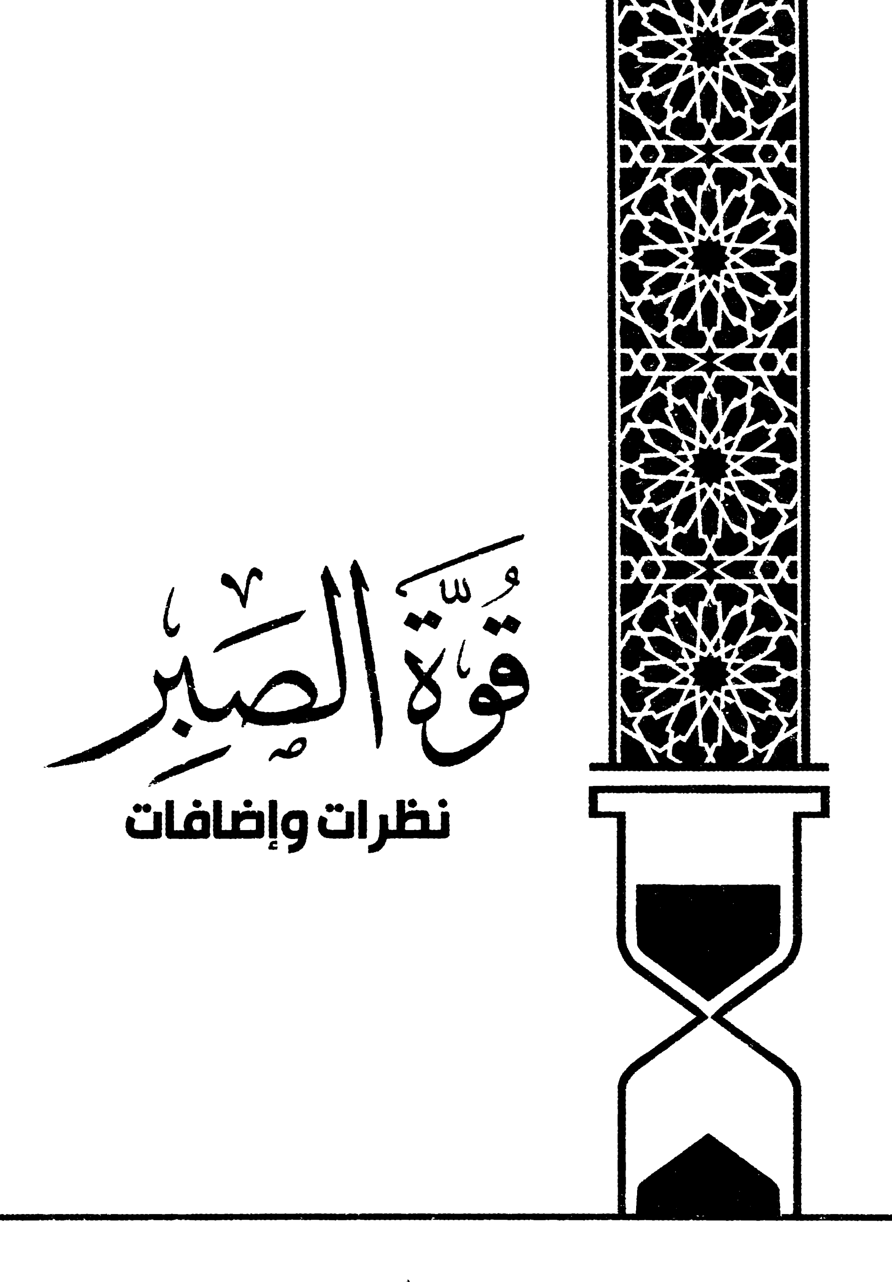


عادل بن بادي المرشدي

دار الحضارة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى



عادل بن بادي المرشدي


ح عادل بادي حمود المرشدي، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المرشدي، عادل بادي حمود

قوة الصبر.. نظرات واضافات./ عادل بادي حمود المرشدي-

ط١ - الرياض ١٤٤٠هـ

ص ٧٠؛ ١٤×٢٠سم

ردمك: ٦-١٥٢٤-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الصبر	أ- العنوان
ديوي ٢١٢,٢	١٤٤٠/١١٢٠٨

رقم الإيداع: ١٤٤٠/١١٢٠٨

ردمك: ٦-١٥٢٤-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ/٢٠١٩م



المملكة العربية السعودية - الرياض

daralhadarah@hotmail.com

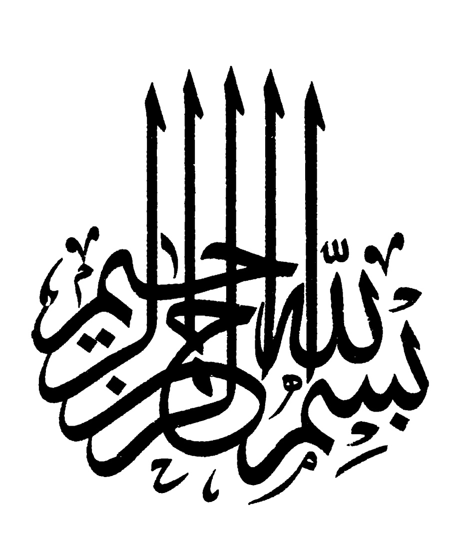
الرقم الموحد: 920000908 الفاكس: 2702719 - 011

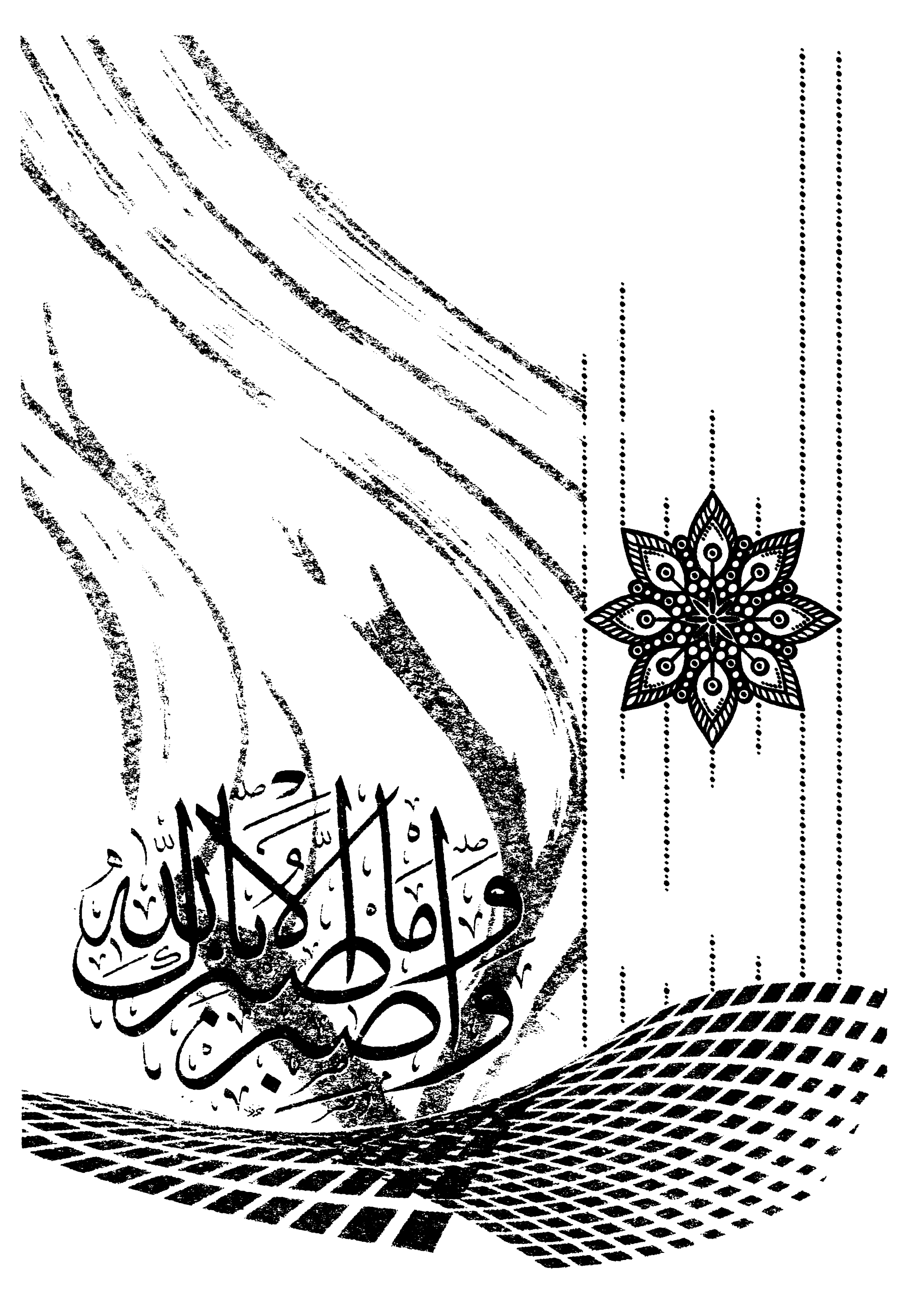
@daralhadarah 0551523173

زوروا متجر الحضارة: hadarah.store








واصبر وما صبرك إلا بالله

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

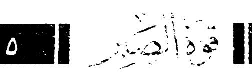
فإن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، وقد أجبرتني مرحلة من المراحل على القراءة في بعض الكتب التي ألفها غربيون في مجالات مختلفة وكانت هي الكتب المتوفرة في ذلك الوقت والمكان فقرأت جملة منها وانتفعت بما يوافق الشريعة وعجبت في الوقت نفسه من المستغنين بهذه الكتب عن القراءة في الكتب الشرعية لأن كثيراً من الأفكار الإبداعية التي عند هؤلاء الغربيين موجودة في نصوص الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح.

ومن تلك الكتب كتاب: «قوة الصبر» للمؤلفة الغربية : إم جيه رايان.

وهو كتاب غربي مفيد في الحث على الصبر ولكن يعتريه إشكالان:

الأول: محاذير الترجمة وما تحتمل من أخطاء.

الثاني: تكرار الفكرة بعبارات مختلفة.



وقد أعدت صياغة بعض العبارات وأحلت على موضعها الأصلي من الكتاب واستهدفت عموم الناس وخاصة المتأثرين بمثل هذه الكتب من خلال بيان سبق الكتب الشرعية في هذه المجالات فإنه لايوجد دين حث على الصبر كما فعل الإسلام فقد جعل ثوابه كثيراً وكبيراً **قال تعالى:** ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة الزمر، الآية: ١٠] كما سبقهم الإسلام في إثبات أن الصبر هو رغبة وانتباه للنفس من الداخل وتدريب تصنعها العبادة **قال تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة المعارج، الآيات: ١٩-٢٢].

وقد جعلت الكلام المقتبس من الكتاب المترجم محاطاً بدائرة لتمييزه وأتبعته بالنظرات والإضافات ثم أتبعته بفصل من كلام علماء الإسلام عن الصبر وختمته بأقوال منتقاة من الكتاب .

والله الموفق.

المؤلـــف
عادل بن بادي المرشدي
٥/ ٨/ ١٤٤٠هـ
جوال : ٠٥٠٤٥٨٤٨٢٥



أهمية الصبر

١ - «نتحلى بالصبر ليس فقط لكي نتكيف مع الحياة ولكن أيضاً لكي يزداد ما بداخلنا من خير وحكمة». [ص٦]

٢- «بدون الصبر لا يمكننا أن نتعلم من الدروس التي تلقي بها الحياة إلينا وبذلك نصبح قادرين على النضج».[ص٦]

٣- «بدون الصبر نبقى سريعي الغضب والانفعال كما كنا في مرحلة الطفولة ونصبح غير قادرين على تأجيل السرور أكثر من لحظة واحدة وغير قادرين على العمل بأي شكل من أشكال الإخلاص في اتجاه ما نريد». [ص٧]

٤- «إذا كنا نريد حياة أكثر رحابة وعمقاً وليس مجرد حياة أسرع حركة يتعين علينا أن نتحلى بالصبر مع أنفسنا ومع الآخرين ومع الأحداث الصغيرة والكبيرة في الحياة نفسها». [ص ٧]

لقد أحسن المؤلف فيما قال ولكنه لم يذكر ولا يدرك على الوجه الكامل أن خطورة فقد الصبر لا تقف عند فقد الحكمة والراحة لأن نظرته الدنيوية تمنعه من إدراك المخاطر الأكبر التي دلنا عليها الشرع وذلك بفقد الإيمان وتوابعه وقد قال علي بن أبي طالب ﷺ: «لا إيمان لمن لا صبر له»[1].

وفي هذا تنبيه من هذا الصحابي الجليل على أسوأ ما يمكن فقده عند فقد الصبر وهو الإيمان.

إن فقد الإيمان هو فقد للحياة لأنه ينزع منها غايتها الصحيحة لهذا شبه الإسلام الكافر بالميت لأنه لا حياة مطمئنة له مهما كان صبوراً وإنما قد تكون له أهداف دنيوية ينجح في تحقيقها بصبره.

وقال زهير بن نعيم: «إنَّ هذا الأمر لا يتمُّ إلا بشيئين: الصبر واليقين، فإن كان يقين ولم يكن معه صبر لم يتمَّ،

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (٢١٠٣١) ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان (٩٢٦٧) وأورده ابن تيمية في الفتاوى (١٠/ ٤٠) محتجاً به.

وإن كان صبر ولم يكن معه يقين لم يتمَّ»[1].

ولا يكون يقين مع الشرك بالله فلا يقين إلا في الإسلام وبه يتم الصبر وبدونه لا يتم الصبر الذي به يتحقق الخير ويثبت ويزيد على مستوى الفرد والمجتمعات.

وقد حث على هذا النوع من الصبر السلف الصالح:

قال ميمون بن مهران: «ما نال عبد شيئًا من جسيم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر»[2].

وقال يحيى بن معاذ: «حُفَّت الجنة بالمكاره وأنت تكرهها، وحفت النار بالشهوات وأنت تطلبها، فما أنت إلا كالمريض الشديد الداء إن صبر نفسه على مضض الدواء اكتسب بالصبر عافية، وإن جزعت نفسه مما يلقى طالت به علة الضنا»[3].

وقال عمر بن ذر: «من أجمع على الصبر في الأمور فقد

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١٥٢١٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٧٨).
(٣) ذم الهوى لابن الجوزي (٣٧).

حوى الخير، والتمس معاقل البر وكمال الأجور»[1].

وقال يونس بن زيد: سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن: ما منتهى الصبر؟ قال: «أن يكون يوم تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه»[2].

وقال قيس بن الحجاج **في قوله تعالى:** ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ [سورة المعارج، الآية: ٥] قال: «أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يعرف من هو»[3].

---

(١) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (١١٣).
(٢) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (١١٤).
(٣) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (٢٣).



حقيقة الصبر

١- التحلي بالصبر يتطلب قدراً من (الرغبة) و (الانتباه للنفس من الداخل) و (التدريب). ص٧

٢- «أهم شيء يجب معرفته أن الصبر شيء نمارسه وليس شيئاً نمتلكه أو نفتقر إليه» [ص ٨].

الصبر إنما هو رغبة وممارسة وهذا يعني أن الإنسان الذي لا يقتنع بأهمية الصبر ولا يتمرن عليه فلن يكون صابراً ولهذا فلابد من سبب مقنع للرغبة في الصبر والتمرن عليه وجميع الأسباب التي ذكرها المؤلف هي من باب بيان الفوائد المتعلقة بالحياة الدنيا وهي أسباب حقيقية لكنها وإن كانت مقنعة للحصول على ثمرة سريعة للصبر لكنها لا تغني عن الأسباب التي أضافها الشرع للترغيب في الصبر فالثواب الذي أخبر به الإسلام للصبر كاف للمؤمن أن يكون سعيداً بالصبر وليس راغباً به

فحسب فالصابر محبوب للخالق قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٤٦].

وثواب الصابر كثير وكبير:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر، الآية: ١٠].

والصابر يجازى بتكفير الخطايا التي دون الكبائر (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر الله به من سيئاته)[١].

وأما الكبائر والذنوب التي يصر عليها العبد فالأصل أنه لايكفرها إلا التوبة .

إن عند المسلم من النصوص الشرعية التي تقوي الرغبة في الصبر ما يجعله متكيفاً مع المصاعب لأنه يعلم أن المعاناة جزء من الحياة الدنيا لا ينفك عنها فيتحقق عنده من الفهم والرغبة ما يدفعه لممارسة الصبر بقناعة

---

(١) رواه مسلم (٤٧٩٨).

لأنه لا يريد السعادة في الدنيا فحسب فهو يعلم أثر الصبر في الوصول للسعادة الكاملة في الآخرة وهذا لا يحصل على الوجه الصحيح إلا بالدخول في الإسلام وبدونه تبقى الرغبة في الصبر أقل مما يكفي لتحقيقه بشكل أكمل على مستوى الأفراد والمجتمعات.

وأما على مستوى التدريب والممارسة فالإسلام يأمر بالصبر أمر إيجاب فيما يتعلق بأمر الأولاد بالصلاة تعويداً لهم عليها وإن لم تكن واجبة عليهم لكنها لها أثر في تربية نفوسهم على الصبر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾. [سورة المعارج، الآيات: ١٩-٢٢].

وهذا خبر محقق من الخالق يدل على أن نفس الإنسان بحاجة إلى الصبر والتدريب عليه من خلال الصلاة وهي أفضل وسائل ممارسة الصبر.

وأما الانتباه للنفس من الداخل فهو كذلك مأمور به

في الإسلام من خلال الأمر بمحاسبة النفس وكذلك الدلالة على كون الصبر يحصل بالتصبر.

فعن أبي سعيد الخدري أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال:

(ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر)[1].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وجدنا خير عيشنا بالصبر»[2].

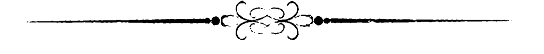
وذلك أن الإنسان إذا كان ضعيف الصبر فهو يميل إلى العجلة التي تؤثر في مصالحه وأما في الخلافات فهو يميل إلى الانتقام أو الاستسلام الذي يوجب له هزيمة نفسية تدفعه إلى داء الكبر وكلها عقد حل رباطها الإسلام فهو

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٩).

(٢) صحيح البخاري كتاب الرقاق باب الصبر عن محارم الله.

يبيح المطالبة بالحقوق ويأذن في التسامح إذا كان على بصيرة ويعد بالثواب عليه فالتسامح على بصيرة سبب للرضا بخلاف الانتقام أو الاستكانة وقد وردت نصوص كثيرة في الحث على العفو الذي باعثه الحكمة والاحتساب بخلاف الضعف الناتج عن التضحية العمياء فهو مذموم وهذا المسلك الشرعي من أفضل دواعي زيادة الصبر ومن وسائل الترغيب في ممارسته باعتدال وثبات .





وسائل الصبر

«صفة الامتنان والشكر تجعل الإحساس بالتقدير تجاه ما لدينا يزيد الإحساس بالاطمئنان ويجعلنا أقل توتراً وقلقاً» [ص٩].

إن تذكر النعم لمن أعظم وسائل زيادة الصبر لأن الجحود وقلة الشكر ذنب يوجب الألم لهذا كان الشكر سبباً في الإسلام للاطمئنان فقد أمر الله تعالى في القرآن والنبي ﷺ في سنته بفعل الأسباب التي تذكر بالنعم وترك كل ما يدعو إلى نسيان النعم **فقال سبحانه وتعالى:** ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة العاديات، الآيتان: ٦، ٧].

والكنود هو الذي يذكر المصائب وينسى النعم.

وقال النبي ﷺ: « انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله»[1].

فهنا أرشد النبي ﷺ إلى ترك طريقة التفكير التي تؤدي إلى ازدراء النعمة والتقليل منها وأمر بالنظر عند المقارنة إلى من هو أقل في النعمة حتى يتذكر الإنسان النعم التي هو فيها فيشكرها فيزداد في الرضا مما يزيد الصبر ولهذا كانت طريقة التفكير السيئة من أخطر عوامل فقدان الصبر ولا شيء يصحح طريقة التفكير أفضل من منهج الإسلام على العقيدة السنية الصحيحة.

وقد **قال الله تعالى**: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٦].

فانتظار الخير في الأمر الذي ظاهره الشر يحقق التفاؤل و يدفع التشاؤم واليأس ويزيد الصبر ويصحح التفكير

(١) رواه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣) واللفظ له.

على ضوء المنهج الإسلامي الصحيح في باب التوحيد والقضاء والقدر والتعبد لله بأسمائه وصفاته بالطريقة الشرعية السنية، ولهذا كان الإيمان بالقضاء والقدر ركناً من أركان الإيمان الستة لأنه يتضمن حسن الظن بالله تعالى في علمه وقدرته على كل شيء فالله تعالى في عقيدة المسلم السني خالق لكل شيء وفاعل بإرادة ومشيئة وتقدير وهذا يفتح في القلب باب التعلق بالله ويثمر الرجاء الذي يضعف أثر مرض خطير هو الشعور بالحرمان والتفكير المتسلسل الذي يفتحه العبد على نفسه بالإكثار من قول (لو) وسوسة واعتراضا بسبب تسلط الشيطان الذي لايزول إلا بقطع التفكير السيء بذكر الله والصلوات الخمس وقول: **(لاحول ولاقوة إلا بالله)** ونحوها من الوسائل التي قضى بها الإسلام على مقدمات الأمراض العقلية والنفسية .

وفي الحديث عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز،

وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[1].

فالإسلام لايريد من المؤمن أن يكون مستسلما للتفكير الناتج عن وسوسة الشيطان بل يريده أن يكون سليم التفكير منتبها لمداخل الحزن المذموم.

بل حتى الأحلام المكروهة أمر الإسلام بالإعراض عن ذكرها وأخبر أن الحلم السيء لايضر.

ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان؛ فإذا رأى أحدكم ما يكره فلينفث عن يساره ثلاث مرات، وليتعوذ بالله من الشيطان ومن شر ما رأى ثلاث مرات، ثم لينقلب على جنبه الآخر فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحدا، وإذا رأى ما يحب فليحمد الله وليخبر بها من يحب»[2].

وإن ترك التدريب على الصبر مع وجود ثمار الأفكار

(١) رواه مسلم (٤٩٥٤).
(٢) رواه مسلم (٤٣١٨).

السيئة كالشعور الدائم بالحرمان لمن أسوأ الآفات التي إذا تمكنت في القلب أفسدته وجعلت صاحبها عبداً للمال والجاه والشهوات المحرمة ومريضاً بأدواء الحسد والغضب الأعمى، وقد عالجها الإسلام بأعظم العلاجات الإيمانية وحاربها بالدعوة إلى التسليم لأحكام الله الشرعية والقدرية تسليماً لا يعني ترك العمل بالأسباب المشروعة بل يفتح باب الثقة بتدبير الله والأمل في الفرج والتغيير، وقد نهى الإسلام عن الجزع وحرمه وجعل من عقوبة صاحبه الإصابة بمرض اليأس والقنوط ثم الدخول في دائرة الإجرام والإفساد جزاء واستدراجاً لمن أساء الظن بالله ولم يستسلم لأحكامه .

وقد فتح الإسلام باب الرجاء حتى في المصائب ففي حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**ما من عبد مسلم تصيبه مصيبة فيقول: ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها**» إلا أخلف الله له خيراً منها قالت: فلما مات

أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ»[1].

فالمؤمن واثق بوعد الله تعالى له إن صبر واحتسب أن يبدله خيراً مما فقد فيحصل له بذلك الإطمئنان الذي يزداد به الصبر.

وكذلك في حال الكرب هو موعود بالنجاة والخير إذا أقبل على الله بالدعاء مما يثمر له الأمل وخاصة إذا لجأ إلى دعاء الكرب الذي كان النبي ﷺ يلجأ إليه عند الشدائد فهو من أعظم الأدعية التي تورث الانشراح والفأل ولا يكاد يتأخر الفرج والعون من الله عن صاحب هذا الدعاء حتى يرى أثره العظيم من صاحب الحلم على الذنوب والعظمة في الذات والأفعال:

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر، يقول: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب

(١) رواه مسلم (١٥٨٨).

العرش الكريم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم»[1].

قال الطبري فيما نقله عنه النووي في شرح مسلم عند هذا الحديث : وقد كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب.

وقال ابن بطال في شرح البخاري عند هٰذا الحديث: «حدثني أبو بكر الرازي قال: كنت بأصبهان عند الشيخ أبي نعيم أكتب عنه الحديث، وكان هناك شيخ يعرف بأبي بكر بن علي، وكان عليه مدار الفتيا، فحسده بعض أهل البلد؛ فوشى به عند السلطان، فأمر بسجنه، وكان ذلك في رمضان.

قال أبو بكر ﷺ: فرأيت النبي ﷺ في المنام، وجبريل عليه السلام عن يمينه يحرك شفتيه لا يفتر من التسبيح، فقال لي النبي ﷺ: «قل لأبي بكر بن علي يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه»، فأصبحت فأتيت

---

(١) رواه البخاري (٦٣٤٥) ومسلم (٢٧٣٠).

إليه وأخبرته بالرؤيا، فدعا به؛ فما بقي إلا قليلاً حتى أخرج من السجن».

فما أعظم ماجاء به دين الإسلام وما أكبر خزي من أعرض عنه أو ارتاب فيه واتبع غير سبيل المؤمنين من بعد ماتبين له الهدى.

وقد واجه الإسلام الألفاظ التشاؤمية والدعاء الناتج عن التشاؤم فقد دخل النبي ﷺ على رجل يعوده فقال: «لا بأس طهور إن شاء الله، فقال الأعرابي: بل حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور فقال: فنعم إذاً»[1].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله ﷺ هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله ﷺ سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه أفلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا

(١) رواه البخاري (٣٤٢٠).

عذاب النار قال فدعا الله له فشفاه»[١].

ولأن الشكر سبب لزيادة الصبر الذي يزيد الطمأنينة ويغلق مداخل الشيطان فقد شرع الإسلام ألفاظاً لا توجد في غيره من جهة جمع المعاني الكبيرة بألفاظ قليلة كصيغة **(الحمد لله)** فهي لفظ جامع في التعبير عما في القلب من الامتنان والاعتراف لله بالكمال والفضل في ذاته وصفاته وأفعاله، وجعل الإسلام النطق بها مشروعاً في السراء والضراء فهو حمد في الأحوال كلها وهو يتضمن الشكر في الأحوال المحبوبة فيرد النفس عن البطر والكبر وفي الأحوال المكروهة فيردها عن الجحود والاعتراض وهما من مفاتيح الأفكار السيئة فالحمد في الضراء تذكير بالنعم الموجودة وبكون المعاناة جزءاً من الحياة الدنيا لا ينفك عنها لأنها دار اختبار وليست دار جزاء.

وقد جرب قول **(الحمد لله)** في الأحوال المكروهة فوجد له تأثير عجيب في الطمأنية والرضا والتخفيف والفرج.

---

(١) رواه مسلم (٤٩٨٢).

كما أن لقول (**الحمدلله**) أثرا في زوال الآلام النفسية والبدنية أو تخفيفها وجعلت هذه الكلمة في صدر أعظم سورة في القرآن وهي سورة الفاتحة.

وقول (**الحمد لله**) يدخل في باب الدعاء بل روي أنها أفضل الدعاء لأنها ثناء يتضمن الرجاء فمن رفع البلاء بالدعاء أن يرفع بقول (**الحمد لله**) لأن البلاء إذا وقع وفي القلب ازدراء للنعمة نقص من الصبر بقدر ذلك فإذا وقع مع شكر النعمة كان سبباً في زيادة النعمة وزيادة الصبر فلا يتأخر رفع البلاء .

وما أحسن أن يتعبد المسلم لله تعالى بأسمائه فيضيفها إلى هذه الكلمة العظيمة وينوع من الأسماء بما يناسب حاجته أو رغبته كأن يقول (**الحمدلله العظيم**) تارة و (**الحمدلله السميع**) أخرى ويقرن بين الأسماء المتشابهة في الجلال أو الجمال وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وعن أبي مالك الأشعري ﵁ تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شطرُ الإيمانِ. والحمدُ لله تملأُ الميزانَ.

وسبحان الله والحمدُ لله تملآنِ (أو تملأُ) ما بين السماواتِ والأرضِ»[1].

وقال الشعبي رحمه الله قال شريح: «إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني»[2].

وأي منهج أفضل من الإسلام في هذا التسهيل لوسائل زيادة الصبر والدلالة عليها.

---

(١) رواه مسلم (٣٦٠).
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٢٢٩٥).



أنواع الصبر

«كلما تحلينا بالصبر بشكل أكبر أصبحنا أكثر شعوراً بالهدوء والطمأنينة حتى إذا لم تسر الأمور دائماً بالطريقة التي نريدها» [ص ١٠].

الصبر نوعان:

الأول : صبر اختيـــاري.

الثاني: صبر اضطراري.

فالأول: هو صبر مع بصيرة تحول الابتلاء إلى فهم يدرك به الصابر أن الابتلاء من الله الذي رتب على هذا الصبر في الإسلام ثواباً في الدنيا والآخرة.

وهذا النوع ينتج اختيار الهدوء والتسليم لله والمثابرة وهذه الثلاثة تورث الحكمة قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٦٩].

وأما الثاني: فهو صبر ناتج عن العجز ولم يكن اختياراً فهو مثل سلو البهائم ولا يثمر شيئاً من ثمرات الصبر الاختياري.

والإسلام عندما يحرم الاعتراض على القدر فهو يقطع الطريق على كل ثمراته التي أفسدت العلاقات الإنسانية كالنفاق والحسد.

فالمؤمن يواجه كل شيء حتى الموت بصبر وتسليم لما يرجوه من رحمة وبشرى **قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٠].

ولا يخاف من تقدم العمر **قال تعالى:** ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٥].

وإنما يخاف من ذنوبه ويبذل أسباب المغفرة كالتوبة والاستغفار والإحسان للناس وكف الأذى استعداداً

للقاء الله **قال تعالى:** ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣ - ١٣٥].

قال أبو ميمون رحمه الله: «إن للصبر شروطًا، قيل: ما هي يا أبا ميمون؟ قال: إن من شروط الصبر أن تعرف كيف تصبر؟ ولمن تصبر؟ وما تريد بصبرك؟ وتحتسب في ذلك وتحسن النية فيه، لعلك أن يخلص لك صبرك، وإلا فإنما أنت بمنزلة البهيمة نزل بها البلاء فاضطربت لذلك، ثم هدأ فهدأت، فلا هي عقلت ما نزل بها فاحتسبت وصبرت، ولا هي صبرت، ولا هي عرفت النعمة حين هدأ ما بها، فحمدت الله على ذلك وشكرت»[1].

---

(١) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (٦٧).

وقال أبو حاتم البستي في روضة العقلاء: «الصبر على ضروب ثلاثة: فالصبر عن المعاصي، والصبر على الطاعات، والصبر عند الشدائد المصيبات، فأفضلها الصبر عن المعاصي، فالعاقل يدبر أحواله بالتثبت عند الأحوال الثلاثة التي ذكرناها بلزوم الصبر على المراتب التي وصفناها قبل، حتى يرتقي بها إلى درجة الرضا عن الله جل وعلا في حال العسر واليسر معًا»[(١)].

وإن ممايعين على الصبر عن المعاصي وخاصة التي لها عقوبة معجلة كالبغي وقطيعة الرحم هو التفكر في عواقبها فسهولة حركة اللسان قد تجر إلى تعجيل العقوبة من حيث يظن أكثر الناس أنهم غير مؤاخذين بما يتكلمون به وربما كان هو سبب ماهم فيه من بلاء لأن أسهل وسائل العدوان على الناس هو اللسان فخطورته من جهة سهولته مع عظم أثره فالخشية من عواقبه المعجلة سبب لمجاهدة النفس عن الكلام غير المنظور في عواقبه التي قد يمتد أثرها طويلا من حيث لايشعر الجهال بعلاقته بألسنتهم.

(١) روضة العقلاء (١٤٩).

عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ يعملون ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ فقلت: بلى يا رسول الله ! فأخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا. قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك وهل يكب الناس على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٥٩)، وقال: حسن صحيح.

«إن الثقة بأننا سوف نحصل على نتيجة طيبة في النهاية لا تضمن أن الحياة سوف تسير على النحو الذي نريده لها تماماً ولكن في نهاية الأمر تطالبنا ثقتنا بأن نؤمن بأنه حتى وإن كانت الأمور لم تمض على النحو الذي نريده فمازال كل ما حدث في صالحنا».
[ص١١٨]

إن حسن الظن بالله يقتضي الإيمان بكونه قديراً على كل شيء فيوجب التوكل عليه ثم الثقة في تدبيره وعلى هذا المعنى تدور سورة يوسف فالإيمان بالله تعالى يجعل النظر للأسباب المادية معتدلاً فلا ينقطع الرجاء فيكون الجزاء من الله الشكور حسن العواقب وهي ثمرة حسن الظن بالله.

لهذا كان الرسول ﷺ والصحابة في غزوة الحديبية في غاية حسن الظن بالله مع جريان الأسباب الظاهرة على خلاف ما يرجونه من العمرة والسلامة وهذا كان سبباً في توقع المنافقين والمشركين لسوء عاقبة المسلمين فكانت

النتيجة في صالح الإسلام وأنزل الله السكينة في قلوب المؤمنين جزاء لهم على حسن الظن به.

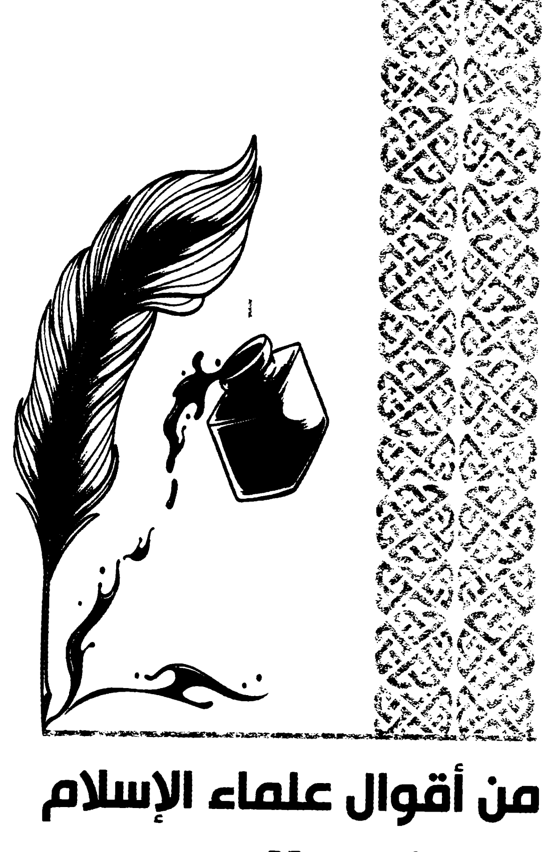
قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الفتح، الآية: ١٨].

فالأحداث مهما كانت عاصفة يجب ألا تجعل المؤمن متوقعاً للعواقب السيئة بل هو مجاهد للأفكار السيئة ومستعين على الخوف بقول: (**حسبنا الله ونعم الوكيل**) حتى لا يبقى منه أمام هذه الكلمة شيء فهي الحاكمة على الأفكار وغيرها محكوم بها متى ما كانت مع المؤمن يجاهد بها الشيطان وأعوانه في الأحوال الصعبة وقد بوب ابن أبي شيبة في المصنف على فضائل هذه الكلمة (باب ما يقول من وقع في الأمر العظيم) فهي للأمور العظيمة وما دونها لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ



وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [سورة آل عمران، الآيات: ١٧٣ - ١٧٤].

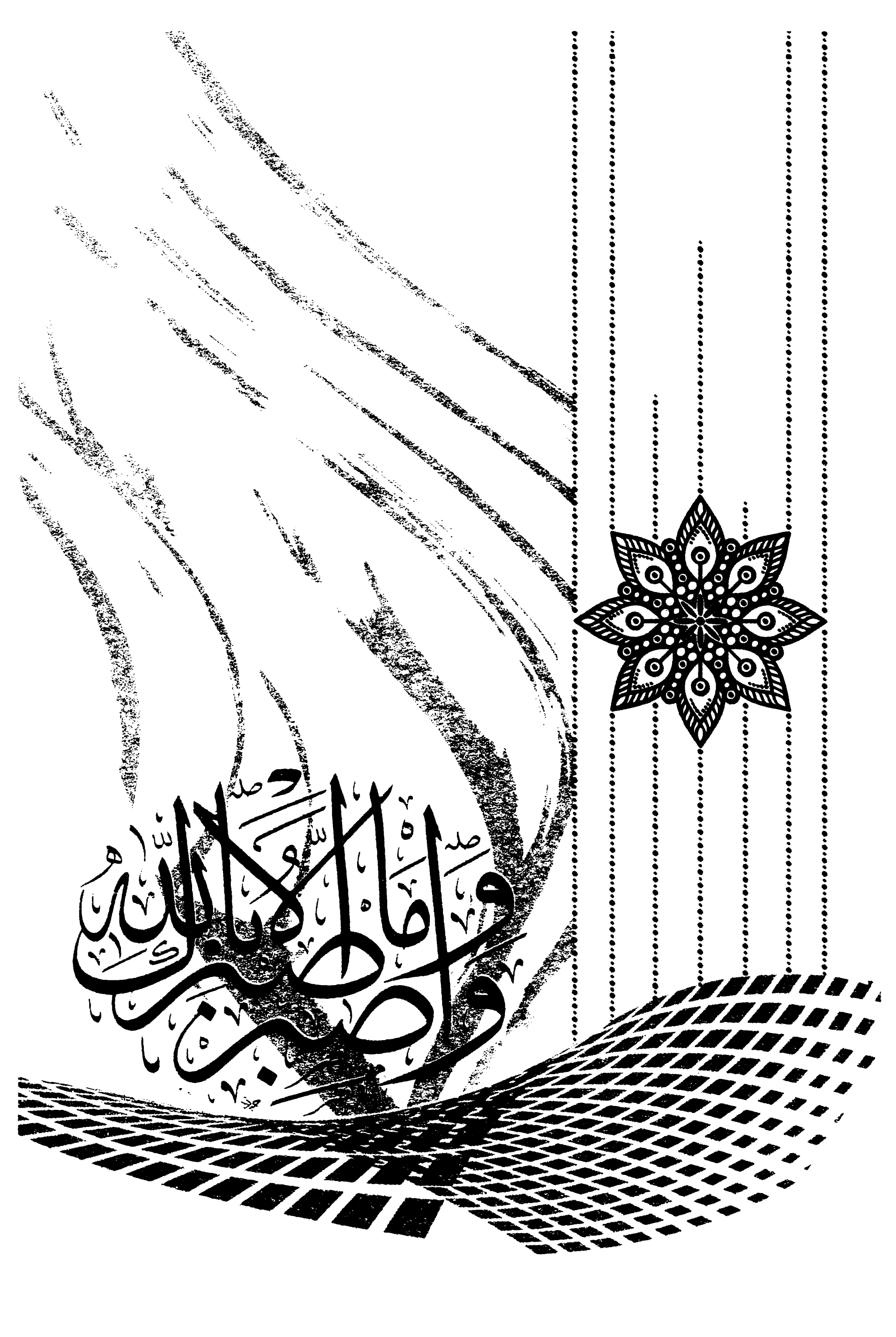
ومن خاف وحمل هم قريب أو عزيز فليكثر من قولها وليطرد بها خيالات الشيطان فهو حريص على تخويف المؤمن على نفسه وأهله حتى يدخله في دائرة الحزن ولايبدل حزنه اطمئنانا ويقينا ورضا شيء أفضل من التوكل على الله وترك العجز والإكثار من هذه الكلمة **(حسبنا الله ونعم الوكيل)**.



من أقوال علماء الإسلام

في الصبر




واصبر وما صبرك إلا بالله



من أقوال العلماء الإسلام في الصبر

١ قال البيهقي في «شعب الإيمان» [٥/ ١٩٦]:

«سمي الصبر ضياء، لأن الشهوات إذا انقمعت به انجلى من القلب الظلام الغاشي إياه باستيلاء الشهوات على النفس، فأبصر مواقع النفع له من عبادة الله تعالى، فآثرها وابتدر إليها، ومواقع الضرر الذي يلحقه من معاصي الله فاعتزلها وكف عنها».

١ قال المناوي في «فيض القدير» [٦/ ٢٨٨]:

«والصبر: القوة على مقاومة الآلام والأهوال وغيرها؛ فهو شامل للصبر على كل شدة ومصيبة؛ فليتخذ عدة، فهو من أشرف العدد، وليقرع به باب المهمات؛ فإنه مفتاح الفرج».

٣ قال أبو طالب المكي في «قوت القلوب» [١/ ١٩٧] عن بعض العلماء أنه قال:

«أي شيء أفضل من الصبر وقد ذكره الله في كتابه في

نيف وتسعين موضعاً؟! ولا نعلم شيئاً ذكره الله تعالى بهذا العدد إلا الصبر».

(٤) قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» [٤/ ٣٣٣]:

«وإذا تأملت مراتب الكمال المكتسب في العالم، رأيتها كلها منوطة بالصبر، وإذا تأملت النقصان الذي يُذم صاحبه عليه، ويدخل تحت قدرته، رأيته كله من عدم الصبر؛ فالشجاعة والعفة، والجود والإيثار كله صبر ساعة».

(٥) قال أيضاً:

«ولذة الدنيا والآخرة ونعيمها، والفوز والظفر فيهما لا يصل إليه أحد إلا على جسر الصبر، كما لا يصل أحد إلى الجنة إلا على الصراط».

(٦) قال الطاهر ابن عاشور في كتابه «أصول النظام الاجتماعي» [ص١٢٠-١٢١]:

«والصبر ملاك ذلك كله والتدرب عليه وسيلة النجاح؛ لأن جلائل الأعمال كلها يعترضها ضعف المقدرة وتثبيط الكسل، وإنكار الجهال ولوم اللوام؛ فلا

تُفَلُّ حدة ذلك كله إلا بالصبر».



(٧) قال الطيبي رحمه الله في «شرح مشكاة المصابيح» [٢/ ٧]:

«إن الصبر بنيت عليه أركان الإسلام، وبه أحكمت قواعد الإيمان».

(٨) **قال العلامة ابن عاشور في «تفسيره» [١/ ٤٧٩]:**

«وإذا تأملت وجدت أصل التدين والإيمان من ضروب الصبر؛ فإن فيه مخالفة النفس هواها ومألوفها في التصديق بما هو مغيب عن الحس الذي اعتادته، وبوجوب طاعتها واحدًا من جنسها لا تراه يفوقها في الخلقة وفي مخالفة عادة آبائها وأقوامها من الديانات السابقة؛ فإذا صار الصبر خلقاً لصاحبه هون عليه مخالفة ذلك كله لأجل الحق والبرهان».

(٩) قال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» [٢/ ٨٩٦]:

«فليس لمن قد فتن بفتنة دواء مثل الصبر، فإن صبر كانت الفتنة ممحصة له، ومخلصة من الذنوب، كما يخلص

الكير خبث الذهب والفضة. فالفتنة كير القلوب، ومحك الإيمان، وبها يتبين الصادق من الكاذب **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٣].

فالفتنة قسمت الناس إلى صادق وكاذب ومؤمن ومنافق، وطيب وخبيث. فمن صبر عليها كانت رحمة في حقه، ونجا بصبره من فتنة أعظم منها، ومن لم يصبر عليها وقع في فتنة أشد منها!".

١٠ قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» [٢/ ٤٨٣]:

«فكل من قام بحق، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، فلابد أن يؤذى، فما له دواء إلا الصبر في الله، والاستعانة بالله، والرجوع إلى الله عز وجل».

١٠ قال شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في «المستدرك على الفتاوى» (٥/ ١٢٧):

«عامة الفتن التي وقعت من أعظم أسبابها قلة الصبر، إذ الفتنة لها سببان: إما ضعف العلم، وإما ضعف الصبر".

١٢ قال ابن القيم رحمه الله في «عدة الصابرين» [ص١١٨]:

ويحتاج العبد هاهنا إلى الصبر في ثلاث أحوال:

الحالة الأولى: قبل الشروع فيها، بتصحيح النية والإخلاص وتجنب دواعي الرياء والسمعة، وعقد العزم على توفية المأمور به.

الحالة الثانية: الصبر حال العمل فيلازم الصبر عن دواعي التقصير فيه والتفريط، ويلازم الصبر على استصحاب ذكر النية وعلى حضور القلب بين يدى المعبود، وألا ينساه في أمره، فليس الشأن في فعل المأمور بل الشأن كل الشأن ألا ينسى الآمر حال الإتيان بأمره، بل يكون مستصحباً لذكره في أمره، فهذه عبادة العبيد المخلصين لله، فهو محتاج إلى الصبر على توفية العبادة حقها بالقيام بأدائها وأركانها وواجباتها وسننها، وإلى الصبر على استصحاب ذكر المعبود فيها، ولا يشتغل عنه بعبادته فلا يعطله حضوره مع الله بقلبه عن قيام جوارحه بعبوديته، ولا يعطله قيام الجوارح بالعبودية عن حضور قلبه بين يديه سبحانه.

الحالة الثالثة: الصبر بعد الفراغ من العمل وذلك من وجوه:

أحدها: أن يُصَبّر نفسه عن الإتيان بما يبطل عمله، كما **قال تعالى:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٦٤]. فليس الشأن في الإتيان بالطاعة، إنما الشأن في حفظها مما يبطلها.

الثاني: أن يصبر عن رؤيتها والعجب بها والتكبر والتعاظم بها؛ فإن هذا أضر عليه من كثير من المعاصي الظاهرة.

الثالث: أن يصبر عن نقلها من ديوان السر إلى ديوان العلانية؛ فإن العبد يعمل العمل سرًا بينه وبين الله سبحانه فيكتب له في ديوان السر، فإن تحدث به نقل إلى ديوان العلانية، فلا يظن أن بساط الصبر انطوى بالفراغ من العمل».

١٣ قال ابن تيمية كما في «المستدرك على مجموع الفتاوى» [٥/ ٧٢١]:

«عامة الفتن التي وقعت من أعظم أسبابها قلة الصبر؛ إذ الفتنة لها سببان: إما ضعف العلم، وإما ضعف الصبر؛

فإن الجهل والظلم أصل الشر، وفاعل الشر إنما يفعله لجهله بأنه شر، وتكون نفسه تريده فبالعلم يزول الجهل، وبالصبر يحبس الهوى والشهوة فتزول تلك الفتنة».

(١٤) قال ابن تيمية في «السياسة الشرعية» (ص١٨٦):

«فالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعي والرعية».

(١٤) قال ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» [٢٥/ ٣٠٨-٣٠٩]:

«وإذا كان الله تعالى قد أمر بالصبر والاحتساب عند حدثان العهد بالمصيبة، فكيف مع طول الزمان؟!».

(١٤) قال ابن عاشور في «أصول النظام الاجتماعي» [ص١٢١]:

«ثم إن في الصبر فائدة أخرى قوية وهي: تربية قوة الإرادة في النفس، وتسمى هذه القوة بالهمة وبالعزيمة، وهي خُلُق تنشأ عليه النفس، ومن شأنه أن يدفعها إلى السعي في تحصيل ما تتطلبه بدون كلل، فلا يزال هذا الخلق ينمى حتى تصير الأخطار لديه محقرة. وصاحب

هذا الخلق مظهر للأعمال العظيمة في كل غرض يعمد إليه من علم أو تأليف أو تدبير دولة أو قيادة جيش أو غير ذلك، وقد حملت الآداب الإسلامية المسلمين على التخلق به في سائر تعاليمها؛ فكانوا مظهرًا للنجاح أينما توجهوا»

(١٧) قال أيضاً [ص١٢٠-١٢١] بعد أن ذكر امتثال الأوامر واجتناب النواهي:

«والصبر ملاك ذلك كله والتدرب عليه وهو وسيلة النجاح؛ لأن جلائل الأعمال كلها يعترضها ضعف المقدرة وتثبيط الكسل وإنكار الجهال ولوم اللوام، فلا تُفَلُّ حدة ذلك كله إلا بالصبر».

(١٨) قال ابن تيمية في «الاستقامة» [١/ ٣٨]:

«فأمر سبحانه بالصبر على أذى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى... وقد **قال سبحانه:** ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨]. فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم؛ فكيف إذا كان البغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل الإيمان؟! فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله

ذلك على ألا يعدل على مؤمن وإن كان ظالماً له؟! فهذا موضع عظيم المنفعة في الدين والدنيا».

(١٩) قال ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» [١١/ ٥٩-٦٠] «تعليقاً على قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٨]:

«هي عامة فيما تناوله هذا الوصف مثل الذين يصلون الفجر والعصر في جماعة فإنهم يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، سواء كانوا من أهل الصفة أو غيرهم، أمر الله نبيه بالصبر مع عباده الصالحين؛ الذين يريدون وجهه».

(٢٠) قال ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» [٢/ ٣٠٦-٣٠٧]:

«فإذا جئت إلى النبي ﷺ وتأملت سيرته مع قومه وصبره في الله واحتماله ما لم يحتمله نبي قبله وتلون الأحوال عليه من سلم وخوف وغنى وفقر وأمن وإقامة في وطنه وظعن عنه وتركه لله، وقتل أحبابه وأوليائه

بين يديه، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى من القول والفعل والسحر والكذب والافتراء عليه والبهتان، وهو مع ذلك كله صابر على أمر الله يدعو إلى الله! فلم يُؤْذَ نبي ما أوذي ولم يحتمل في الله ما احتمله ولم يُعطَ نبي ما أعطيه، فرفع الله ذكره وقرن اسمه باسمه، وجعله سيد الناس كلهم وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة وأعظمهم عنده جاهاً وأسمعهم عنده شفاعة، وكانت تلك المحن والابتلاء عين كرامته، وهي مما زاده الله بها شرفاً وفضلاً، وساقه بها إلى أعلى المقامات».

(٢١) قال ابن تيمية:

«كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكملُ من صبره على إلقاء إخوته له في الجب وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه؛ فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس، ولا سيما مع الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة؛ فإنه كان شاباً وداعية الشباب إليها قوية،

وعزباً ليس له ما يعوضه ويرد شهوته، وغريباً والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه من بين أصحابه ومعارفه وأهله، ومملوكاً والمملوك أيضاً ليس وازعه كوازع الحر، والمرأة جميلة ذات منصب وهي سيدته وقد غاب الرقيب وهي الداعية له إلى نفسها والحريصة على ذلك أشد الحرص ومع ذلك توعدته إن لم يفعل: بالسجن والصغار، ومع هذه الدواعي كلها: صبر اختياراً وإيثاراً لما عند الله، وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه؟!. نقله في «مدارج السالكين» [٢/ ١٥٦].

(٢٢) قال ابن تيمية في «قاعدة في الصبر» ضمن «جامع المسائل» [١/ ١٧٣]:

«إن من اعتاد الانتقام ولم يصبر، لابد أن يقع في الظلم؛ فإن النفس لا تقتصر على قدر الواجب لها، لا علماً ولا إرادة، وربما عجزت عن الاقتصار على قدر الحق، فإن الغضب يخرج بصاحبه إلى حد لا يعقل ما يقول ويفعل، فبينما هو مظلوم ينتظر النصر والعز، إذ انقلب ظالماً ينتظر المقت والعقوبة».

(٢٣) قال الشيخ ابن عثيمين في «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٦١٢):

«فالواجب الصبر على الأذى في ذات الله عز وجل. وأما الأذى فيما يتعلق بأمور الدنيا ومعاملة الناس فأنت بالخيار إن شئت فاصبر، وإن شئت فخذ بحقك، والصبر أفضل، إلا إذا كان في الصبر عدوان واستمرار في العدوان، فالأخذ بحقك أولى».

(٢٤) قال ابن القيم في «إعلام الموقعين عن رب العالمين» [٤/ ١٣٥]:

«فأخبر تعالى أنه جعلهم أئمة يأتم بهم مَن بعدهم لصبرهم ويقينهم؛ إذ بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين؛ فإن الداعي إلى الله تعالى لا يتم له أمره إلا بيقينه للحق الذي يدعو إليه وبصيرته به، وصبره على تنفيذ الدعوة إلى الله باحتمال مشاق الدعوة، وكف النفس عما يوهن عزمه ويضعف إرادته، فمن كان بهذه المثابة كان من الأئمة الذين يهدون بأمره تعالى».

(٢٥) قال المرداوي في «الإشارة في تدبير الإمارة» (ص١٢٤):

«عود نفسك الصبر على من يخالفك من رأي أهل الصنيعة والتجرع بمرارة قولهم، ولا تسهّل سبيل ذلك إلا لأهل العقل والفضل والمروءة والستر، فإنك إن سهلت ذلك لغيرهم تجرأ عليك السفيه، واستخفَّ بك النذل».

(٢٦) قال ابن الجوزي في «كشف المشكل من أحاديث الصحيحين» [٢/ ٥١١]:

«اعلم أن تمني لقاء العدو يتضمن أمرين: أحدهما: استدعاء البلاء، والثاني: ادعاء الصبر، وما يدري الإنسان كيف يكون صبره على البلاء، والمدعي متوكل على قوته، معرض بدعواه عن ملاحظة الأقدار وتصرفها، ومن كان كذلك وُكِلَ إلى دعواه، كما تمنى الذي فاتتهم غزاة بدر فام يثبتوا يوم أحد، وكما أعجبتهم كثرتهم يوم حنين فهزموا!».

(٢٧) قال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» [٣/ ٥٣]:

ههنا للعبد أحد عشر مشهداً فيما يصيبه من أذى الخلق وجنايتهم عليه:

المشهد الأول: المشهد الذي ذكره الشيخ رحمه الله:

وهو مشهد القدر وأن ما جرى عليه: بمشيئة الله وقضائه وقدره، فيراه كالتأذي بالحر والبرد والمرض والألم وهبوب الرياح وانقطاع الأمطار، فإن الكل أوجبته مشيئة الله، فما شاء الله كان ووجب وجوده، وما لم يشأ لم يكن وامتنع وجوده، وإذا شهد هذا: استراح وعلم أنه كائن لا محالة فما للجزع منه وجه وهو كالجزع من الحر والبرد والمرض والموت.

المشهد الثاني: مشهد الصبر

فيشهده ويشهد وجوبه وحسن عاقبته وجزاء أهله وما يترتب عليه من الغبطة والسرور ويخلصه من ندامة المقابلة والانتقام، فما انتقم أحد لنفسه قط إلا أعقبه ذلك ندامة، وعلم أنه إن لم يصبر اختياراً على هذا وهو محمود صبر اضطرارا على أكبر منه وهو مذموم.

المشهد الثالث: مشهد العفو والصفح والحلم:

فإنه متى شهد ذلك وفضله وحلاوته وعزته: لم يعدل

عنه إلا لعشي في بصيرته فإنه ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً كما صح ذلك عن النبي ﷺ وعلم بالتجربة والوجود وما انتقم أحد لنفسه إلا ذل.

هذا وفي الصفح والعفو والحلم: من الحلاوة والطمأنينة والسكينة وشرف النفس وعزها ورفعتها عن تشفيها بالانتقام: ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام.

المشهد الرابع: مشهد الرضى:

وهو فوق مشهد العفو والصفح وهذا لا يكون إلا للنفوس المطمئنة، سيما إن كان ما أصيبت به سببه القيام لله، فإذا كان ما أصيب به في الله وفي مرضاته ومحبته: رضيت بما نالها في الله

وهذا شأن كل محب صادق يرضى بما يناله في رضى محبوبه من المكاره

ومتى تسخط به وتشكى منه كان ذلك دليلاً على كذبه في محبته، والواقع شاهد بذلك، والمحب الصادق كما قيل:

من أجلك جعلت خدي أرضا
للشامت والحسود حتى ترضى

ومن لم يرض بما يصيبه في سبيل محبوبه فلينزل عن درجة المحبة وليتأخر فليس من ذا الشأن.

المشهد الخامس: مشهد الإحسان:

وهو أرفع مما قبله وهو أن يقابل إساءة المسيء إليه بالإحسان فيحسن إليه كلما أساء هو إليه، ويهون هذا عليه علمه بأنه قد ربح عليه وأنه قد أهدى إليه حسناته ومحاها من صحيفته وأثبتها في صحيفة من أساء إليه، فينبغي لك أن تشكره وتحسن إليه بما لا نسبة له إلى ما أحسن به إليك،

وههنا ينفع استحضار مسألة اقتضاء الهبة الثواب، وهذا المسكين قد وهبك حسناته فإن كنت من أهل الكرم فأثبه عليها لتثبت الهبة وتأمن رجوع الواهب فيها

وفي هذا حكايات معروفة عن أرباب المكارم وأهل العزائم.

ويهونه عليك أيضا: علمك بأن الجزاء من جنس العمل فإن كان هذا عملك في إساءة المخلوق إليك عفوت عنه وأحسنت إليه مع حاجتك وضعفك وفقرك وذلك، فهكذا يفعل المحسن القادر العزيز الغني بك في إساءتك، يقابلها بما قابلت به إساءة عبده إليك، فهذا لابد منه، وشاهده في السنة من وجوه كثيرة لمن تأملها.

المشهد السادس: مشهد السلامة وبرد القلب

وهذا مشهد شريف جدا لمن عرفه وذاق حلاوته وهو أن لا يشتغل قلبه وسره بما ناله من الأذى وطلب الوصول إلى درك ثأره وشفاء نفسه، بل يفرغ قلبه من ذلك ويرى أن سلامته وبرده وخلوه منه أنفع له وألذ وأطيب وأعون على مصالحه، فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده وخير له منه، فيكون بذلك مغبونا والرشيد لا يرضى بذلك ويرى أنه من تصرفات السفيه، فأين سلامة القلب من امتلائه بالغل والوساوس وإعمال الفكر في إدراك الانتقام؟!

المشهد السابع: مشهد الأمن:

فإنه إذا ترك المقابلة والانتقام: أمن ما هو شر من ذلك وإذا انتقم: واقعه الخوف ولا بد فإن ذلك يزرع العداوة، والعاقل لا يأمن عدوه ولو كان حقيرا فكم من حقير أردى عدوه الكبير، فإذا غفر ولم ينتقم ولم يقابل: أمن من تولد العداوة أو زيادتها ولابد أن عفوه وحلمه وصفحه يكسر عنه شوكة عدوه ويكف من جزعه بعكس الانتقام والواقع شاهد بذلك أيضاً.

المشهد الثامن: مشهد الجهاد:

وهو أن يشهد تولد أذى الناس له من جهاده في سبيل الله وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وإقامة دين الله وإعلاء كلماته.

وصاحب هذا المقام: قد اشترى الله منه نفسه وماله وعرضه بأعظم الثمن فإن أراد أن يسلم إليه الثمن فليسلم هو السلعة ليستحق ثمنها فلا حق له على من آذاه ولا شيء له قبله إن كان قد رضي بعقد هذا التبايع فإنه قد وجب أجره على الله.

وهذا ثابت بالنص وإجماع الصحابة رضي الله عنهم ولهذا منع النبي ﷺ المهاجرين من سكنى مكة أعزها الله ولم يرد على أحد منهم داره ولا ماله الذي أخذه الكفار ولم يضمنهم دية من قتلوه في سبيل الله.

ولما عزم الصديق رضي الله عنه على تضمين أهل الردة ما أتلفوه من نفوس المسلمين وأموالهم قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمشهد من الصحابة رضي الله عنهم: تلك دماء وأموال ذهبت في الله وأجورها على الله ولا دية لشهيد فأصفق الصحابة على قول عمر ووافقه عليه الصديق.

فمن قام لله حتى أوذي في الله: حرم الله عليه الانتقام كما قال لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٧].

المشهد التاسع: مشهد النعمة:

وذلك من وجوه أحدها: أن يشهد نعمة الله عليه في أن جعله مظلوما يترقب النصر ولم يجعله ظالماً يترقب المقت والأخذ، فلو خير العاقل بين الحالتين ولابد من إحداهما لاختار أن يكون مظلوماً.

ومنها: أن يشهد نعمة الله في التكفير بذلك من خطاياه فإنه ما أصاب المؤمن هم ولا غم ولا أذى إلا كفر الله به من خطاياه، فذلك في الحقيقة دواء يستخرج به منه داء الخطايا والذنوب ومن رضي أن يلقى الله بأدوائه كلها وأسقامه ولم يداوه في الدنيا بدواء يوجب له الشفاء: فهو مغبون سفيه.

فأذى الخلق لك كالدواء الكريه من الطبيب المشفق عليك فلا تنظر إلى مرارة الدواء وكراهته ومن كان على يديه وانظر إلى شفقة الطبيب الذي ركبه لك وبعثه إليك على يدي من نفعك بمضرته.

ومنها: أن يشهد كون تلك البلية أهون وأسهل من غيرها فإنه ما من محنة إلا وفوقها ما هو أقوى منها وأمر، فإن لم يكن فوقها محنة في البدن والمال فلينظر إلى سلامة دينه وإسلامه وتوحيده وأن كل مصيبة دون مصيبة الدين فهينة وأنها في الحقيقة نعمة والمصيبة الحقيقية مصيبة الدين.

ومنها: توفية أجرها وثوابها يوم الفقر والفاقة وفي بعض الآثار: أنه يتمنى أناس يوم القيامة لو أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب أهل البلاء.

هذا وإن العبد ليشتد فرحه يوم القيامة بما له قبل الناس من الحقوق في المال والنفس والعرض فالعاقل يعد هذا ذخرا ليوم الفقر والفاقة ولا يبطله بالانتقام الذي لا يجدي عليه شيئاً.

المشهد العاشر: مشهد الأسوة:

وهو مشهد شريف لطيف جدا فإن العاقل اللبيب يرضى أن يكون له أسوة برسل الله وأنبيائه وأوليائه وخاصته من خلقه فإنهم أشد الخلق امتحانا بالناس وأذى الناس إليهم أسرع من السيل في الحدور ويكفي تدبر قصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم وشأن نبينا ﷺ وأذى أعدائه له بما لم يؤذه من قبله.

وقد قال له ورقة بن نوفل: لتكذبن ولتخرجن ولتؤذين

وقال له: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وهذا مستمر في ورثته كما كان في مورثهم ﷺ.

أفلا يرضى العبد أن يكون له أسوة بخيار خلق الله وخواص عباده: الأمثل فالأمثل ومن أحب معرفة ذلك فليقف على محن العلماء وأذى الجهال لهم وقد صنف في ذلك ابن عبدالبر كتابا سماه محن العلماء.

المشهد الحادي عشر: مشهد التوحيد:

وهو أجل المشاهد وأرفعها، فإذا امتلأ قلبه بمحبة الله والإخلاص له ومعاملته وإيثار مرضاته والتقرب إليه وقرة العين به والإنس به واطمأن إليه وسكن إليه واشتاق إلى لقائه واتخذه وليا دون من سواه بحيث فوض إليه أموره كلها ورضي به وبأقضيته وفنى بحبه وخوفه ورجائه وذكره والتوكل عليه عن كل ما سواه: فإنه لا يبقى في قلبه متسع لشهود أذى الناس له ألبتة، فضلاً عن أن يشتغل قلبه وفكره وسره بتطلب الانتقام والمقابلة.

فهذا لا يكون إلا من قلب ليس فيه ما يغنيه عن ذلك ويعوضه منه، فهو قلب جائع غير شبعان فإذا رأى أي طعام رآه هفت إليه نوازعه وانبعثت إليه دواعيه.

وأما من امتلأ قلبه بأعلى الأغذية وأشرفها: فإنه لا يلتفت إلى ما دونها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم).




واصبر وما صبرك إلا بالله




أفكار منتقاه من الكتاب المترجم

«الصبر يمنحنا القدرة على العمل بثبات في اتجاه تحقيق الأهداف» [ص١١].

«ليس معنى مواصلة العمل في صبر رغم العقبات أننا بالضرورة سوف نحقق نفس النوع من القدر الهائل الذي حققه غيرنا ولكن القيام بذلك من المؤكد أنه يزيد من احتمالات أننا سوف نحقق أهدافنا مهما كانت ».[ص١٢]

«بدلا من أن نشعر بالغضب أو الذعر في مواجهة كل حادثة نصبح قادرين على أن نضع الأشياء في إطارها الصحيح فيسمح لنا بالحفاظ على هدوء أرواحنا وأعصابنا». [ص ١٢]

«بالصبر نصبح قادرين على التحكم في

تصرفاتنا وبه نستطيع أن نختار كيف نستجيب لأي موقف نتعرض له». [ص١٣]

«الصبر يجعلنا نستجيب بنفوس سمحة لتحديات الحياة بشجاعة وقوة وتفاؤل» [ص١٤]

«ليس معنى الصبر على مواقف الحياة أن علينا أن نحب المشكلات والعقبات التي تواجهنا وإنما أن ندرك أنها جزء من الحياة فلانصعبها أكثر بأن نضيف لها مشاعر المرارة أو الحقد أو اليأس بل نعمل لمعالجتها بدلا من أن نشكو ونتألم». [ص١٤]

«الصبر يمنحنا العاطفة التي تمكننا من أن نستجيب للآخرين بلطف ونشعر تجاههم بالرحمة والشفقة». [ص١٤]

«من خلال تقبل الآخرين على ما هم عليه وتقبل الحياة كما هي عليه نثبت قوتنا الحقيقية ومانتسم به كبشر من قوة وجمال». [ص١٤]

«من السهل أن نتقبل الأمور عندما تكون كلها على مايرام ولكن عندما نتحلى بالصبر في المواقف التي لاتسير الأمور فيها بالطريقة التي نريدها فهنا تكون القوة الحقيقية». [ص١٤]

«طبيعة الحياة تجعل فيها أوقاتا يشعر فيها الإنسان أن إنجازاتها جوفاء وأنه لا مخرج من هذا الشعور والصبر هو الحل الذي يجعل مرور هذه المرحلة سهلا بدلاً من السقوط في الإحباط والقنوط نتيجة الجهل بدورات الحياة». [ص٢٧]

«الصبر يساعدنا على أن نتخذ قرارات أفضل لأنه يجعلنا في معزل عن التخيلات

المروعة التي تفسد حكمنا ورأينا». [ص٢٧]

«كلما تحلينا بصبر أكثر شعرنا بهدوء أكثر وكلما شعرنا بهدوء أكثر أصبحنا أكثر قدرة على تجميع المعلومات الكافية قبل أن نقع في دوامة لاداعي لها من القلق والخوف». [ص٢٨]

«انتظار النتائج الطيبة للأعمال هو ثمرة للصبر الذي يصلنا بالأمل ويمكننا من العمل نحو تحقيق هدف ربما لا نراه نحن أبدا وهو يتحقق». [ص٣٢]

«التسامح مع صغائر الأمور التي تمر بنا يقلل ما نتعرض له من ضغوط ويجعل الصبر أحد أفضل الأشياء التي يمكننا القيام بها من أجل صحتنا». [ص٣٦]

«إهدار الوقت والطاقة والمال هو ثمرة

لنفاد الصبر ومن الممكن أن يلحق بنا نفاد الصبر الضرر الجسدي كذلك فمقاومة الميل إلى السرعة والتعجل تقتضي الإدراك لأننا عندما نتعجل نرتكب أخطاء ما كنا لنرتكبها إذا كنا قد عملنا ونحن أكثر هدوءاً». [ص٣٧-٤٠]

«عندما نتحلى بالصبر فإننا نزيد من احتمالات حصولنا على ما نرغبه وهذا لأن التحلي بالصبر يجعلنا نعامل الآخرين بلطف وهذا بدوره يزيد من احتمال استجابتهم لنا بطريقة أفضل». [ص٤٢]

«عندما نتحلى بالصبر نستطيع أن نقرر بشكل أفضل متى يتعين علينا أن نبتسم أو نتحمل شيئا ما». [ص٤٧]

«لا أحد يشبه الآخر من كل وجه وهنا

يأتي دور الصبر فهو يساعدك على أن تحتمل بسماحة تلك الفروقات الموجودة بينك وبين الآخرين». [ص٤٩]

«الصبر يزيد تقبل الآخرين على ما هم عليه ويزيد بذلك احتمال التغيير». [ص ٥٤]

«الصبر يسمح لنا بأن نفكر قبل أن نتصرف وهذا يعد حاسما في العلاقة التربوية بين الأبناء والآباء فهي علاقة فيها قدر من السلطة على الأبناء وقد تجعلنا استجاباتنا وردود أفعالنا الحادة آباء غير جيدين». [ص٥٧]

«لا يمكننا أن نحقق كل شيء عن طريق الأفعال ففي بعض الأحيان يكون ما نحتاجه هو القليل من القدرة على الانتظار وهذا ما يعلمنا إياه الصبر». [ص٦١]

«قدرة أكثرنا على الصبر هي السبب في أن المجتمع يعمل بشكل سليم وعلى قدر ما يتحلى به الناس من صبر تظل المجتمعات متماسكة وبه تتوفر إمكانية أن يحل السلام بين الأشخاص والمجتمعات». [ص٦٥]

«عندما نصادف الألم يكون هذا بمثابة نداء لنا لكي ننتقل إلى مستوى أعلى داخل أنفسنا لنكتشف قدرات لم نقم باستغلالها من قبل» [ص ٦٨]

«الطريقة التي يمكن بها أن نتحلى بمزيد من الصبر هي أن نرى أنفسنا على أننا لا نزال نتعلم وأن نرى كل مناسبة نفقد فيها صبرنا على أنها فرصة للتطور والنضج». [ص ٧٢]

«عندما يتم الضغط على نقاط ضعفك

التي تجعلك تفقد صبرك حاول أن ترى هذا الموقف على أنه فرصة لكي تتعلم شيئا عن نفسك،

اسأل نفسك:

لماذا يصعب علي تحمل هذا الأمر؟

«قد يكون قدرة غيرك على الهدوء أكثر منك هي سبب فقد الصبر». [ص٧٤]

«عندما نرى الصبر كقرار نتخذه فإننا ندرك أننا سوف نواجهه مرارا فنعمل بثبات ومثابرة على تحقيق الهدف ويزيد من احتمال حصوله». [ص٧٥]

«عندما نتذكر أن الأشياء تتغير دائماً يمكننا أن نتماسك بصورة أكثر ارتياحاً لأنه مهما طال أي شيء فلن يستمر للأبد». [ص ٨٠]

«الانتظار جزء من الحياة». [ص ٨٤]

«من الأفضل أن تعمل على الأمر لا أن تحاول تجنبه» [ص٨٨]

«لا جود للملل إلا في عقولنا فقط». [ص٩٤]

«إذا كان هناك من درس تمنيت تعلمه من قبل فهو أنه لا مكن لإنسان أن يتحكم في سلوك إنسان آخر بكل صدق وأمانة لا مكن لهم ذلك سوف يظل الناس على حالهم ولن يتغيروا إلا إذا أرادوا هم ذلك». [ص ١١٠]

«عندما نتذكر أن الانتظار من الممكن أن يجلب علينا متعة أكبر بكثير مما جلبها الإشباع الفوري لاحتياجاتنا يصبح التحلي بالصبر أسهل بكثير». [ص١١٥]

الفهرس

ردمك.......................... ٢

بسم الله الرحمن الرحيم ٣

المقدمة ٥

أهمية الصبر........................... ٧

حقيقة الصبر ١١

وسائل الصبر......................... ١٦

أنواع الصبر ٢٧

من اقوال العلماء الأسلام في الصبر ٣٧

أفكار منتقاه من الكتاب المترجم ٦١